للإمام يوسف القرضاوي

أولويات العمل الإسلامي

في ظل المتغيرات الدولية الراهنة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية بعابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

محاضرات الإمام يوسف القرضاوي
أولويات العمل الإسلامي في ظل
المتغيرات الدولية الراهنة
الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية -
عابدين - القاهرة
٤٨ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع : ٢٠١١/١٢٥٩٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-225-331-3

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأي وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to The Auther And Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher And Auther.

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد
إدارة الشئون الفنية

القرضاوي، يوسف.
أولويات العمل الإسلامي في ظل
المتغيرات الدولية الراهنة /
يوسف القرضاوي.-
القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١١
٤٨ ص؛ ١٤ سم
تدمك ٢ ٢١٣ ٢٢٥ ٩٧٧
١- الإسلام والسياسة.

٢١٤,٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أولويات العمل الإسلامي
في ظل المتغيرات الدولية الراهنة [1]

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه ، واتبعوا النُّور الذي أُنزل معه ، أولئك هم المفلحون ، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته ، واهتدى بسنَّته ، وجاهد جهاده إلى يوم الدين .

خير ما أحييكم به أيها الإخوة والأخوات ، تحية الإسلام ، وتحية الإسلام السلام ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد)

---

(١) أُلقيت هذه المحاضرة بجمعية الإصلاح بمملكة البحرين ، في أوائل التسعينيات من القرن الماضي ، وقد ألقيت ارتجالا .

دور جمعية الإصلاح في الإصلاح :

إنَّه ليُسعدني ويُثلج صدري ، أن ألتقي بإخوتي وأخواتي ، وأبنائي وبناتي بهذه الجمعية المباركة : جمعية الإصلاح ، التي نحسَب إن شاء الله أنَّها أُسِّسَتْ على تقوى من الله ورضوان ، وأنَّها أُقيمت لنُصرة الإسلام ، وغرس عقائده وأحكامه وقِيَمه في العقول والأنفس ، وأنَّها تقوم على ثُغرة من ثُغَر الإسلام في هذا البلد الكريم ، وفي هذه المنطقة ، وقد كان لها دور رائد حتى قبل أن تتسمَّى بهذا الاسم ، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يُسدِّد خُطَى هذه الجمعية ، وخُطَى القائمين عليها ، وأن يثبِّت أقدامهم على الحقِّ ، وأن يجعل يومهم خيراً من أمسهم ، وأن يجعل غدهم خيراً من يومهم .

قاعة عبد الرحمن الجودر :

وكم سُررتُ حينما قرأتُ في الصحف أنَّ هذه القاعة سُميت باسم : **(قاعة عبد الرحمن الجودر)** ، سرَّني أن نَفِي للرُّواد من حملة الدعوة الإسلامية ، وقد كان أخونا الشيخ عبد الرحمن ، رحمه الله رحمة واسعة ، وتقبَّله في الصالحين ، من أوائل الذين حملوا لواء الدعوة في **(البحرين)** من قديم ، لذلك سررتُ من هذا الوفاء ، فالوفاء في الناس قليل ، ولكنه ينبغِي أن يكون فضيلة من الفضائل الأساسية لأهل الإسلام ، والداعين للإسلام ، والعاملين للإسلام .

أولويات العمل الإسلامي في ظل المتغيرات الدولية الراهنة :

أيها الإخوة ، أرسل إليَّ بعض الإخوة ورقة ، يقول لي فيها : نرجو من فضيلتكم أن تحدِّثنا عن **(أولويات العمل الإسلامي في ظل المتغيِّرات الدولية الراهنة)** ، والواقع أنَّ هذا العنوان عنوان كبير ، يحتاج إلى محاضرة كبيرة ، لا يتَّسع لها الوقت المخصَّص لمثل هذا اللقاء ، ولكن بحسبنا أن نُعطي إشارات ولمحات فقط حول هذا الموضوع الكبير **(أولويات العمل الإسلامي في ظلِّ المتغيِّرات الدولية الراهنة)** .

ما المقصود بالعمل الإسلامي؟

ينبغي أولا أن نعرف ماذا نقصد بالعمل الإسلامي ؟ أو ما هو العمل الإسلامي؟ فإنَّ هذه الكلمة أصبحت سائدةً الآن ، ودائرةً على الألسن والأقلام ، فَيُقال : العمل الإسلامي ، فما المراد إذن بالعمل الإسلامي ؟

إنَّ العمل الإسلامي الذي نعنيه ونقصده وننشده ، هو ذلك التوجُّه الجماعي المنَظَّم الشَّعبي المحتسِب لخدمة الإسلام ، وإعادة الإسلام إلى الحياة من جديد ، ليقود مسير الأُمَّة ، ويُوجِّه نهضتها ، مصبوغة بالصِّبغة الإسلامية . هذا هو المراد بالعمل الإسلامي .

مُمَيِّزات العمل الإسلامي :

يمتاز العمل الإسلامي بعدَّة مميزات تميِّزه ، نلخِّصها فيما يلي :

(١) عمل جماعي :

يمتاز العمل الإسلامي بأنَّه عمل جماعيٌّ ، وليس عملا فرديًّا ، فالعمل الفردي المتناثر المبعثَر هنا وهناك لا يمكن أن يُؤدِّي إلى ما نصبو إليه ، من عودة الإسلام إلى الحياة قائدًا لها ، ومُنظِّمًا لمسيرتها . هناك أفراد كثيرون يعملون للإسلام ، وهذا لا شكَّ من الأعمال الصالحة المأجورة والمذخورة والمشكورة ، ولكنَّنا حينما نقول العمل الإسلامي ، لا نريد عمل الأفراد ، فالعمل الفردي طيِّب ، ولكنَّ العمل المنشود هو العمل الجماعي ، فقد علَّمنا نبيُّنا محمد ﷺ أنَّ : « يد الله مع الجماعة »[١] ، وأنَّ « مَن شذَّ شذَّ في النار »[٢] ، وأنَّه

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦) ، وقال : حسن غريب ، وصححه الألباني في إصلاح المساجد (٦١) ، عن ابن عباس .

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧) وقال : غريب ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٨٢) ، والدولابي في الكنى والأسماء (١٤٣١) وقال : قال أبو عبد الرحمن (النسائي) : حديث منكر ، عن ابن عمر .

«لا صلاة لمنفرد خلف الصفِّ»[1] ، وأنَّ الذئب «يأكل من الغنم القاصية»[2] . هكذا علَّمنا نبيُّنا ﷺ .

العمل الفردي محدود الإنتاج :

الإسلام لا يقبل أن يعمل كلُّ إنسان وحده ، فالعمل الفردي يُنتِج إنتاجًا محدودًا ، إنَّما العمل الحقُّ هو العمل الجماعي .

عمل الجماعة عملٌ مُبارك ؛ لأنَّه كما يقول النبي ﷺ : «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك أصابعه[3] . اللبنة وحدها لا تصنع شيئا ، واللبنات المبعثرة ـ ولو كانت بالآلاف والملايين ـ لا تُقيم بناء ، إنَّما يقوم البناء حينما تنتظم هذه اللبنات في نظام متماسك ، يربط بينها رابط ،

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٩٧) ، وقال مخرجوه : إسناده صحيح رجاله ثقات ، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٠٣) ، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤٧٤/٤) : قال الإمام أحمد : حديث حسن ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٢٢) ، عن علي بن شيبان .

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠) وقال مخرجوه : إسناده حسن ، وأبو داود في الصلاة (٥٤٧) ، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة (٤٨١) ، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، عن أبي موسى الأشعري .

وتقوم على ذلك صفوف فوق صفوف ، حتى يتكوَّن من هذه الصفوف المنتظمة جدار متين مكين ، ثمَّ جدار مع جدار تتكوَّن حجرة ، ثم حجرة مع حجرة يتكوَّن طابق ، ثم طابق مع طابق تتكوَّن عمارة شاهقة ، هذا هو شأن البُنيان الذي يشدّ بعضه بعضًا ، شأن المؤمن مع المؤمن ، خصوصا في ساعات الشدَّة ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف:٤) .

الإسلام يغرس في أتباعه الروح الجماعيّة :

من هنا كان تركيز الإسلام على العمل الجماعي ، ومن هنا كان حريصا على غرس الفكرة الجماعية ، والرُّوح الجماعية ، والشعور الجماعي ، في نفس الإنسان المؤمن ، حتى إنَّ المسلم حينما يصلي ويناجي ربَّه ، ولو كان وحيدًا في قعر بيته ، يناجيه قائلا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٥،٦) ، لماذا يتكلَّم بصيغة الجماعة؟ لأنَّه لا يتكلَّم بلسان نفسه ، إنَّه يتكلم بلسان الأُمَّة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، أنا وإخوتي المسلمين حيثما كانوا ، وحينما يطلب الهداية يقول : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، اهدنا جميعا ، فهو لا يطلب الهداية لنفسه فقط ، وإنَّما يطلبها لنفسه ويطلبها لإخوانه المسلمين حيثما كانوا ،

فالجماعة تعيش في ضميره ، وتتمثَّل على لسانه ، هذا هو شأن الإنسان المؤمن .

المؤمن ليس فرديًّا ، فالفرديَّة ليست من أخلاق الإنسان المؤمن ، إنَّه يذوب في الجماعة ، ويعمل لإصلاحها ، ومن أجل إسعادها ورفعتها ، إنَّه يَبذُل ماله ، بل يَبذُل نفسه من أجْل جماعته ، دفاعًا عنها وعن حُرُماتها ، يُستشهَد في سبيل الله من أجل الأُمَّة ، ومن أجل الجماعة .

لهذا ، العمل الإسلامي ليس عملا فرديًّا ، هناك أناس صالحون كثيرون ، ولكن صلاحهم لأنفسهم ، هو صالحٌ في نفسه ، لكن لا يستطيع أن يُقدِّم شيئًا ما دام وحده ، لكي يقدِّم شيئا يجب أن يضع يده في يد غيره ، في يد أمثاله . هذا شأن الإنسان المؤمن ، الناس يقولون في أمثالهم : (إيد على إيد تكيد) ، (يد وحدها لا تصفِّق) ، (القُفَّة التي لها أذنان يحملها اثنان) . وهذا كلُّه تعبير عمَّا غرسه الإسلام في الإنسان ، حتى الإنسان العامي ، وهو أنَّه لا يمكنه أن يعيش وحده ، ولا أن يعمل وحده .

(٢) عمل كبير :

والعمل الإسلامي عمل كبير في أهدافه ؛ لأنَّ العمل الإسلامي عمل لإحياء الأُمَّة ، ونُصرة الدعوة ، عمل لتوحيد

هذه الأُمَّة الكُبرَى ، لتحرير أرضها ، وتوحيد كلمتها ، ولإعلاء كلمة الله فيها ، وإقامة الخلافة المضَيَّعة ، وإعادة الفرائض المعَطَّلة ، ليس هيِّنا أن تُحرَّر أرض الإسلام ، من الفلبين ، لأرتيريا ، لفلسطين ، لأفغانستان ، وتُقيم حكم الله في كلِّ أرض من هذه الأراضي ، وتُوحِّد هذه الأُمَّة في مشرق الأرض ومغربها ، وشمالها وجنوبها ، تحت راية الإسلام ، كما كانت قبل أن تسقط الخلافة ، ليس بالأمر الهيِّن ، وتُعيد إليها الخلافة المفقودة ، والوَحدة المنشودة ، « مَن مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية »[1] . كل هذا عمل ليس هيِّنًا ؛ بل دونه عقبات وعقبات ، دونه عقبات من داخل الأُمَّة ، وعقبات من خارج الأُمة .

هناك للأسف مَن يعادونك من داخل الأُمَّة الإسلامية نفسِها ، وهناك مَن يعادونك من خارج الأُمَّة الإسلامية ، المعركة كبيرة ، فكيف يمكن أن تقوم بها وحدك؟! كيف يمكن أن تؤدِّي هذه الفرائض المعطَّلة؟ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحكم بما أنزل الله ، وإقامة الشريعة الإسلامية ، وتوحيد الأُمَّة الممزَّقة ، وإعادة الخلافة الضائعة ، وغير ذلك ، كيف تُعيد هذه الفرائض المعطَّلة وحدك ؟

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١) ، عن ابن عمر .

لا يمكن أن تفعل كلَّ هذا وحدك ، لذلك كان لا بدَّ من العمل الإسلامي الجماعي .

(٣) عمل مُنظَّم :

العمل الإسلامي الجماعي عمل مُنظَّم ، وليس عملا تلقائيًّا غير مُنظَّم ، وإنَّما العمل الجماعي عمل مُنظَّم على أساس جمعيات ، ولها قيادة ولها قاعدة ، عمل مُنظَّم كما يفعل الآخرون ، فديننا يأمرنا بأن نكون مُنظَّمين ، ديننا يأمرنا أن نكون منظَّمين حتى في السفر ، فلو كان هناك ثلاثة مسافرين ، لا بد أن يجعلوا واحدا منهم أميرًا ، يفصل في الأمور إذا اختلفوا ، ننزل نستريح أم نستمر في السفر ، « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم »[1] . فكيف بالأمور المتعلِّقة بالأُمَّة ، صلاة الجماعة نفسُها تُعلِّم المسلمين النظام ، فمن أجل هذا كان العمل الإسلامي عملا مُنَظَّمًا .

(٤) عمل شَعْبِيّ تطوُّعيّ مُحتَسِب :

وهو أيضا عمل شَعْبيٌّ مُحتَسِب ، وليس عملا رسميًّا ، فالرسميُّون لهم رسميَّاتهم ، عن طريق المؤسَّسات الرسمية ،

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٨) ، وأبو عوانة في مستخرجه في الحدود (٧٥٣٨) ، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٢٢) ، عن أبي سعيد الخدري .

عن طريق الوزارات، عن طريق الدوائر، عن طريق المصالح، لكن هذا لا نُسمِّيه عملا إسلاميًّا، فالعمل الإسلامي عمل شَعْبِيٌّ تطوُّعيٌّ مُحتَسِب، ليس بأمر حاكم ولا قاضٍ ولا وزير ولا رئيس، إنما هو لله سبحانه وتعالى، فالأصل في العمل الإسلامي هو هذا، قد تقوم بعض الدوائر الرسميَّة، وبعض الإدارات، وبعض الوزارات، وبعض المصالح الحكومية، بأعمال جَيِّدة لخدمة الإسلام، ولكن لا ينبثق عن هذا عمل إسلامي، العمل الإسلامي ينبثق انبثاقًا اختياريًّا من ضمير الإنسان المسلم، هذا هو الذي نريده.

(٥) ينبثق من ضمير المجتمع المسلم:

العمل الرسمي يخدم أشخاصًا، إنَّما العمل الشعبي يُفرِز أشخاصًا يختارهم الناس، ويُفرزهم الميدان، ولا يتحكَّم فيه أحد، لأن مَن يُموِّل شيئا يتحكَّم فيه، إنَّما العمل الشعبي ينبثق من ضمير المجتمع المسلم، من الإحساس بأنَّ هناك شيء غائب، ويجب أن يعود هذا الغائب، وأنَّ عليه واجبًا، ويجب أن يقوم بهذا الواجب، من هذا الإحساس النفسي ينشأ الإقبال على العمل الإسلامي، هذا هو العمل الإسلامي الشَّعْبي المحتسِب.

وهذا العمل الإسلامي الجماعي لو لم يأمرنا به الدين لأوجبه علينا الواقع ، فالواقع يفرض علينا هذا ، فإنَّنا نجد القُوى المعادية للإسلام تعمل بشكل متكتِّل مُنظَّم ، كلُّ القُوى المعادية للإسلام ، كاليهودية أو الصليبية أو الشيوعية أو الماسونية أو العِلمانيَّة ، كلُّ القُوَى المعادية للإسلام لا تعمل بشكل فرديٍّ ، ولا بشكل تلقائيٍّ ، وإنَّما تعمل بشكلٍ جماعيٍ ، وبشكلٍ منظَّم مُخطَّط ، فلماذا لا نواجه القوم بمثل ما يواجهوننا به ، ونُعِدُّ لهم كما يُعِدُّون لنا : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فإنَّ أوامر ديننا تتطلَّب منَّا أن نعتصم بحبل الله جميعا ولا نتفرَّق ، وأن نتعاون على البرِّ والتقوى ، وأن نتواصى بالحقِّ والصبر .

العمل الإسلامي انتشر في المشارق والمغارب :

العمل الإسلامي قد انطلق والحمد لله منذ سنين طويلة ، منذ عشرات السنين ، وهو الآن قد تمثَّل فيما نسمِّيه (الصحوة الإسلامية) ، التي انتشرت في المشارق والمغارب ، وأصبحنا نراها صحوة عقول تحبُّ أن تقرأ عن الإسلام ، وصحوة مشاعر مُتدفِّقة بالحبِّ للإسلام ، والغَيْرة عليه ، والحماس من أجله ، وصحوة التزام بالعمل للإسلام سواء من الشباب أو الشابَّات ، الرجال أو النساء ، وصحوة الدعوة إلى الإسلام ، والجهاد من أجله .

وقد تمثَّلت هذه الصحوة في أعمال كبيرة ، كالجهاد الأفغاني الذي دوَّخ أكبر دولة مُلحدة في التاريخ (الاتحاد السوفيتي) عشر سنوات ، وكان للجهاد الأفغاني أثره وفضله فيما حدث في الاتحاد السوفيتي ، بعد أن هُزم أمام هؤلاء البسطاء من الفلاحين والأميين على أرض أفغانستان المجاهدة ، الصحوة الإسلامية كان لها دورها في صحوة المساجد ، أطفال الحجارة ، الثورة التي انطلقت ورياتها المصاحف ، ونداءاتها : (لا إله إلا الله ، والله أكبر) ، وشعاراتها تنطلق من المآذن والمنارات ، ونشيد أطفالها : (خيبر خيبر يا يهود ، جيش محمد سوف يعود) ، كلُّ هذا من آثار الصحوة الإسلامية .

فالصَّحوة الإسلامية كان لها أثرها في كلِّ الميادين ، الميدان الاقتصادي ، المصارف الإسلامية ، والمؤسَّسات الإسلامية ، وشعور الناس بوجوب التخلُّص من لعنة الرِّبا التي حاقت آثارها بالكثير من المسلمين ، حرب الله ورسوله ، والتنادي بوجوب تحكيم الشريعة الإسلامية ، والعودة إلى تطبيق أحكام الله ، كلُّ ذلك كان من آثار الصحوة الإسلامية . فهذا العمل الإسلامي والحمد لله حقيقة واقعة .

مُخَطَّط لضرب العمل الإسلامي وتعويق مسيرته :

العمل الإسلامي يجب أن يستمرَّ وينمو ويطَّرد ، خصوصا في الظروف الحالية ، الظروف الحالية ليست هيِّنة في الحقيقة ، بعد أن حدث ما حدث في المنطقة العربية والإسلامية ، بعد أن أصبحنا نواجه أمورًا جديدة ، ينبغي أن يكون العمل الإسلامي في غاية اليقظة والحذر ، وفي غاية القوَّة والتماسك ، لأنَّ المسألة لم تَعُد هيِّنة ، فالقوى المعادية للإسلام يفكِّرون من مدَّة في ضرب هذا العمل الإسلامي وتعويق مسيرته ، وشغله بنفسه ، المنطقة كانت مُقْبلة على أحداث كثيرة وآمال كبيرة ، ولكن للأسف حدث ما حدث من انشغال الأُمَّة بنفسها ، حتى ضرب بعضها بعضًا ، وقتل بعضها بعضًا ، نتيجة طغيان الطغاة ، وظلم الظالمين ، الذين استخدمهم أعداء الإسلام .

أنا لستُ من أنصار التفسير التآمري للتاريخ ولا للأحداث ، وكنتُ أعيب دائما مَن يقول بأنَّ ما يحدث لنا إنما يحدث بتخطيط أجنبي ، وأنَّه من عمل الصهيونية ، أو من عمل الماسونية . . لكنَّني في المدة الأخيرة ، تأكدتُ أنَّ هناك مُخطَّطًا جهنميًّا خُطِّط لنا ، واستُخدِم فيه من استُخدِم ، لكي تُضرب المنطقة هذه الضربات الهائلة ، وتُدمَّر بأموال أهلها ،

ثم تُعمَّر ثانية بأموال أهلها أيضًا ، ويَضرب الأُمَّةُ بعضُها بعضًا ، وتُمزَّق شرَّ مُمزَّق .

ولا يقف هذا التمزُّق عند الأنظمة الحاكمة بعضها وبعض ، بل حتى الشُّعوب أصبح يكره بعضُها بعضًا . . وهذه مشكلة كبيرة جدًّا ، ولا ندري ماذا يُراد لنا بعد ذلك ، فالقوم يفكِّرون لنا تفكيرًا له فلسفتُه المعيَّنة ، وله أساليبُه ، وله خبراؤه ، وله خُطَطُه ومُخطِّطوه ، فينبغي أن نكون واعين .

الغرب درس نتائج الحروب الصليبية :

ليس عذرا لنا أن نقول : هذه مخطَّطات جهنَّمية! لماذا يُخطِّط أعداؤنا لنا ولا نُخطِّط نحن لأنفسنا؟ إلى متى نظلّ ضحايا تخطيط الآخرين؟ لماذا لا يجتمع أهل الرأي فينا ليبحثوا ويدرسوا الواقع ،ويدرسوا أسباب المآسي التي حدثت، ومَن السبب فيها؟ ويأخذوا من يومهم لغدهم ، ومن حاضرهم لمستقبلهم .

الغرب بعد الحروب الصليبية ظلَّ يدرس نتائج هذه الحروب ، وسبب اندحاره بعد حملاته التسع ، وبعد أن أقام في أرض الإسلام ممالك وإمارات ، وبعد أن ظلّ في بيت المقدس تسعين عامًا ، وبعد أن دُحر وهُزم وردَّ على أعقابه بفضل الله ، على يد القادة المسلمين : عماد الدين زنكي ،

ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي ، درس الغرب نتائج هذه الحروب ، وخرج بنتائج وسجَّلها ، وأنَّه ينبغي أن يُغيِّر الخطة ، وأن يُغيِّر الأسلوب ، فكان هذا ما ظهر أثره بعد الاستعمار الغربي ، الذي جاء أخيرًا بطريقة أخرى .

مآسي كبيرة حلَّتْ بالأمَّة :

للأسف يحدث في تاريخنا أحداث هائلة ، ولا يجلس بعضنا إلى بعض ، لندرس ما حدث ونستخرج منه العِظة والعِبرة ، مأساة كمأساة الخليج هذه ، والتي يُسمُّونها أزمة الخليج ، أكُلُّ هذه المصائب أزمة؟! المصائب التي حلَّت نُسمِّيها أزمة؟ مصائب كبرى كمصيبة سنة ١٩٦٧م ويُسمُّونها نكسة!!

إسرائيل فعلتْ ما فعلتْ ، وكان الطريق مفتوحًا أمامها للوصول إلى القاهرة ، وللوصول إلى دمشق لو أرادتْ ، ومع كلِّ هذا يُسمُّونها نكسة!؟ والآن يُسمُّون مأساة الخليج أزمة ، المصائب التي حلَّتْ ، والأعراض التي هُتِكت ، والحرمات التي انتُهكتْ ، والدماء التي سُفِكتْ ، والأموال التي نُهبتْ ، والمباني التي دُمِّرت ، وما حدث من ضياع الأموال والعيال والناس ، وكلُّ هذا الخراب المادي والمعنوي ، ويُسمُّونها أزمة الخليج !!

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ :

كل هذه المآسي والمصائب الكبيرة التي حدثتْ ، جديرة بأن يبحث الناس ما الذي أدَّى إليها ، لقد كان الواحد من السلف إذا حَرَنتْ عليه دابَّته ، أو عبست زوجته في وجهه ، يقول مُعاتبًا نفسه : لا بد أنَّ هذا حدث بسبب معصية فعلتُها ، لعلِّي ارتكبتُ معصية ، فعن الفضيل بن عياض : إني لأعصي الله ، فأعرف ذلك في خُلُق دابتي وجاريتي[1]. فهذا لا يأتي إلا من شُؤْم المعصية ، ثم يذكر قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠) .

من فضل الله تعالى أنَّه لا يحاسِب على كلِّ معصية ، بل يعفو عن كثير ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (النحل: ٦١) ، وكما قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١) ، لا يذيقهم كُلَّ ما عملوا ؛ بل يذيقهم بعض الذي عملوا ، ولماذا يذيقهم بعض ما عملوا ؟ قال : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، وليس هذا انتقاما من الله ، ولكنَّه تنبيه للغافل ، وتعليم للجاهل ، وتذكير للناسي ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾،

---

(١) صيد الخاطر صـ ٣١ .

هكذا كان السلف يقولون حينما يصابون، ولو بالشيء البسيط، يقولون: هذا بشؤم المعصية، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (النساء:٧٩).

لما أصاب المسلمين في أُحد ما أصابهم، تساءلوا عن سبب ما حدث، وكيف حدث، ولماذا حدث ؟! انتصرنا في بدر ونحن أقلُّ عَدداً وأضعف عُدداً ! ! قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين من صناديد قريش، وفراعنة الكفر وأئمة الضلال، فما الذي حدث حتى استُشهد مِنَّا سبعون؟! فقال القرآن: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:١٦٥)، ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران:١٦٥)، ارجعوا باللائمة على أنفسكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ (آل عمران:١٥٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله ما كنتُ أعرف أنَّ فينا مَن يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[1]. كان يظنُّ رضي الله عنه أنَّ

---

(١) رواه أحمد (٤٤١٤) وقال مخرجوه: حسن لغيره، وابن أبي شيبة في مسنده (٤٣٠).

الجميع مبرأٌ من كلِّ شيء ، لكنَّ هذه لحظات ضعف لا تستمرُّ عند المؤمنين ، ولذلك قال القرآن : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٢).

حتى لا تتكرَّر المأساة :

يجب أن نستحضر حجم المأساة التي حلَّت بالأُمَّة ، وأن نقف على دراسة هذه الأزمة ، ودراسة أسبابها ونتائجها ، حتى لا تتكرَّر المأساة ، إذا ظلَّت أسبابها قائمة ، ويصنع الناس طاغية جديدًا كالطاغية القديم ، فالناس هم الذين يصنعون الفراعنة بأنفسهم ، كما قيل في المثل : (يا فرعون مَن فرعنك؟ قال : ما وجدتُ أحدًا يردُّني) . يقول الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (الزخرف:٥٤) .

لعن الله الفراعنة ، ولعن أتباعهم ، فقال عن قوم عاد : ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود:٦٠).

وقال عن قوم فرعون : ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ (هود:٩٩) ، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ (القصص:٨) ، ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ

وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص: ٤٠) ، فقد نصنع فراعنة من جديد إذا استمررنا في الطريق .

لا بد من الدراسة الهادئة :

لا بدَّ للأُمَّة أن تدرس أحداثها خاصَّة بعد الهدوء ، يمكن في فترة الانفعال وثورة الغضب لا تستطيع أن تصل إلى حكم صحيح ، كما جاء في الحديث : « لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان »[1] . لأنَّ القاضي إذا قضى وهو غضبان ، سيؤثِّر الغضب والانفعال على حُسْن إدراكه وتقديره للأمر ، إنَّما يجب أن يهدأ تماما ثم يحكم ، وقاس الفقهاء على ذلك كلَّ انفعال ، كأن يكون القاضي جائعًا أو حزينًا أو غير ذلك .

فيجب على الأُمَّة أن تدرس هذه الأحداث بعد أن يهدأ انفعالها ، لتعرف ما الذي حدث ، ولماذا حدث؟! فتستفيد من هذا الدرس ، وإنَّه لدرس بليغ قاسٍ جدا ، وثمنه كبير ، وسيؤثِّر في منطقتنا وأُمَّتنا بصفة عامَّة إلى وقت طويل ، وسيدفع ثمنه بعض الأجيال القادمة .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨) ، ومسلم في الأقضية (١٧١٧) ، عن أبي بكرة .

فهل حاولت الأُمَّة أن تدرس وتستفيد؟ وهل حاول الناس أن يكون يومهم خيراً من أمسهم ، وأن يكون غدهم خيراً من يومهم؟ وأن يقولوا كما علمنا القرآن : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣) ، هل حدثتْ مراجعة؟ هل حدث ما يسمَّى في عصرنا (النقد الذاتي)؟ أو ما يُسمَّى في الاصطلاح الإسلامي (محاسبة النفس)؟

مَن المسؤول عمَّا حدث ؟

ينبغي للأُمَّة أن تُحاسِب نفسها قبل أن تُحاسَب ، وأن تزِن أعمالها قبل أن تُوزن عليها ، وأن تسأل نفسها قبل أن يصير السؤال إلى غيرها . على كل أفرادها ، وخصوصا أهل الرأي والفكر ، وأهل القيادة ، وأهل المسؤولية على كلِّ مستوى : المستوى الفكري ، والمستوى السياسي ، والمستوى الاجتماعي ، والمستوى الاقتصادي .

الأُمَّة كلُّها مسؤولة ، الناس عادة يحاول كلُّ منهم أن يُلقِي المسؤولية على غيره ، فالعامَّة يُلقون المسؤولية على العلماء ، والعلماء يُلقون المسؤولية على الحُكَّام ، والحُكَّام يُلقون المسؤولية على الاستعمار ، وكلُّ واحد يحاول أن يهرب من المسؤولية ، وأن يُلقي وِزرها على غيره ، ولكنَّ الواقع أنَّ

الجميع مسؤول ، فالمسؤولية مشتركة ، كما جاء في الحديث المتَّفق عليه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ : « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته : الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيَّته ، والرجلُ راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيَّته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيَّتها ، والخادم راعٍ في مال سيِّده ومسؤول عن رعيَّته ، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته »[1] . فالكلُّ مسؤول .

مَن المستفيد من خسائرنا :

نحن في فترة في غاية من الخطورة ، إذا لم ننتبه يمكن أن نضيع ، لا شكَّ أنَّ الذي ربح واستفاد مما حدث من خسائرنا كلِّها هو إسرائيل ، إسرائيل هي الكاسب الأكبر ، وهي الرابح الأعظم من وراء هذا كلِّه ، وهي الآن تتكلَّم بلُغة التعاظم ، الكلُّ يحاول أن يتنازل وهي تتصلَّب وتتشدَّد ، تتكلَّم من منطق القوَّة ، تريد السلام ولا تريد أن تترك شبرًا من الأرض .

إسرائيل هي المستفيدة ، فمن حقِّها أن تتعجرف وتتعالَى ، وتتكلَّم بهذه اللُّغة ، ما دمنا نحن متفرِّقين بهذه الطريقة ، لا يمكن أن تقوم لنا قائمة إلا إذا تكاتفنا ، ونسي الجميع

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣) ، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩) .

ذواتهم ، ونَسَوا المصالح الآنيَّة ، والمصالح المحلِّية ، والمصالح الصغيرة ، أمام القضايا الكبيرة .

قضايا الأُمَّة لا يجوز التخلِّي عنها :

هناك قضايا كبيرة ، لا تظنُّوا أنَّ قضية المسجد الأقصَى وقضية فلسطين هي قضية الفلسطينيين وحدهم ، بحيث إذا غضبنا من الفلسطينيين نتخلَّى عن فلسطين ،ونقول: لا تساعدوا الفلسطينيين . كما غضب بعض الناس على الأفغانيين ، فقال : إيَّاكم أن تساعدوا الأفغان . ما هذا الهوَس؟! ما هذا الخبَل في التفكير؟ هذه قضايا الأُمَّة ، ليست قضايا فرد ولا قُطْر !

كثيرا ما قلتُ : لو أنَّ الفلسطينيين أنفسَهم تخلَّوْا عن أرضهم ، وتخلَّوْا عن قضيَّتهم ، لوجب أن نتبنَّاها نحن ، ونقاتل من أجل الأرض ؛ لأنَّها ليست أرضهم وحدهم ، ولا أرض العرب فقط ، وإنَّما هي أرض المسلمين جميعا ، أرض الأُمَّة الإسلامية ، أرض الأجيال الإسلامية السابقة واللاحقة إلى أن تقوم القيامة .

لا يمكن أبدا أن نُفَرِّط في هذه الأرض ، من الخطأ النظرة الجزئية الآنيَّة الضيِّقة إلى هذه القضايا ، لذلك ينبغي أن يقف الجميع صفًّا واحدًا أمام العجرفة الإسرائيلية . . يمكن

للسياسيين أن يلعبوا لعبتهم السياسية عن طريق المفاوضات ، والمجاهدون يجاهدون ، وهذا يَقبَل ، وهذا يرفض ، وهذا يُعارِض ، والأُمَّة القويَّة تستفيد من هذا كلِّه ، الأُمَّة في حاجة إلى أن تعي واجبها في هذه الظروف القاسية .

لا بدَّ من معركة مع اليهود :

أنا شخصيًّا موقن أنَّه لا بدَّ من معركة مع اليهود ، متى ستكون؟ الله أعلم ، ستكون بيننا وبينهم معركة أشار إليها الحديث النبوي : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، فيقول الحجر والشجر : يا عبد الله ، أو يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فتعالَ فاقتله »[1]. هل يقول الحجر والشجر هذا بلسان الحال ، أو بلسان المقال؟ هذا ممكن ، وذاك ممكن ، المهم أنَّ كلَّ شيء سيكون مع المسلمين ، يدلهم على عدوهم ، والدلالة في اللغة كلام .

وقد ينطِق الله الحجر والشجر كرامة للمسلمين ، وخصوصًا هؤلاء المشار إليهم في الحديث ، الذين يدخلون المعركة تحت شعار العبودية لله ، وتحت راية الإسلام ، لا تحت راية قومية ، لا إقليمية ولا عصبية ، ولذلك الحجر

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢) ، عن أبي هريرة .

والشجر يقول : « يا عبد الله ، يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فتعالَ فاقتله » .

لا يقول : يا فلسطيني ، أو يا أردني ، أو يا سوري ، أو يا مصري . ولا يقول : يا عربي . وإنما يقول : يا عبد الله ، لا عبد الشهوات ، ولا عبد الأهواء ، ولا عبد المبادئ الهدَّامة . وإنَّما : يا عبد الله ، يا مسلم .

هذه هي الطائفة المنصورة ، التي أشار الحديث إلى ملامحها ، يقول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرُّهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس »[1] .

نحن نعتقد هذا ، فليفاوض مَن يفاوض ، وليكسب من اليهود مَن يكسب ، وليطالب هذا بالجهاد ، وهذا بغيره ، فمثل هذه القضايا الخطيرة لا بدَّ أن تختلف فيها الآراء ، لا يمكن أن يجتمع الناس على رأي واحد ، لاسيَّما في مثل هذه القضايا ذات الأوجه المتعدِّدة ، وحَملُ الناس على رأي واحد سذاجة ، فالإسلام فتح باب الاجتهاد في القضايا التي تختلف فيها وجهات النظر ، حتى في أمور الدين ، فكيف بالأمور التي

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦) ، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) ، عن معاوية بن أبي سفيان .

تتّصل بالسياسات الشرعية وغير الشرعية ، والقضايا من هذا النوع فيها أخْذ ورَدٌّ ، وجذب وشدٌّ ، وكَرٌّ وفَرٌّ ، لا بدَّ فيها من اختلاف الأنظار ، وينبغي أن تتَّسع صدورنا للآراء المختلفة ، دون أن يتَّهم بعضنا بعضا بالخيانة ، أو بالردَّة أو بالكفر .

سقوط الشيوعية وضياع حتميَّات ماركس وتنبُّؤاته :

المرحلة التي نَمُرُّ بها مرحلة خطيرة ، ويمكن إذا أحسنَّا الاستفادة منها ، وأحسنَّا أخذ العبرة منها ، يمكن أن تكون لصالح الإسلام ، ولصالح الأُمَّة الإسلامية ، وخصوصًا بعد أن انكشف زيف تلك المبادئ الهدَّامة ، التي فتنت الكثيرين من أبناء المسلمين مدَّة غير قليلة من الزمن ، الشيوعيَّة كانت تزعم أنها سترث الأديان ، فالأديان كلُّها ستنهزم وتنتصر هي ، وتصبح هي الوارثة للإسلام والمسيحية ، وكلِّ شيء ، كانت حتميَّات ماركس وتنبُّؤاته تقول هذا ، ولكن ذهبت كلُّ تنبُّؤات ماركس أدراج الرياح ، وضاعت حتميَّاته سُدًى ، وسقطت الشيوعيَّة .

لقد كان الناس يتوقَّعون سقوط الشيوعيَّة ، كثير من الفلاسفة كانوا يتوقَّعون أنَّ الشيوعيَّة لن تُعمَّر طويلا ، ولكن ما كان أحد يتوقَّع أن تنهار بهذه السرعة ، كعِقدٍ انفرط وسقطت حبَّاته وتناثرت هنا وهناك بسرعة ، أوربا الشرقية ،

والاتحاد السوفيتي نفسه ، ثم ألبانيا ، وهكذا سقطت الشيوعيَّة ، وهذا كلُّه يفتح الطريق أمام الإسلام .

سفينة الإنقاذ للبشرية :

الإسلام هو الدين القادر على أن يكون سفينة الإنقاذ للبشرية المهدَّدة بالغرق نتيجة المادية الجارفة ، التي يشكو الناس منها في الغرب ، ويحسُّون معها بالفراغ الرُّوحي ، وضياع الإنسان في هذه الحضارة ، فهذه الحضارة استطاع الإنسان فيها أن يصل إلى القمر ، ولكنَّه لم يستطع أن يُسعِد نفسه على ظهر الأرض ، استطاع أن يُحلِّق في الهواء كالطير ، وأن يسبح في الماء كالسمك ، ولكنَّه لم يستطع أن يسعد على ظهر الأرض كإنسان ، هذه الحضارة هيَّأتْ للإنسان المتعة والرفاهية ، ولكنها لم تُهيِّئ له السكِينة التي هي سر السعادة .

السعادة لا تُستجلَب من الخارج ، وإنَّما تَنبُع من الداخل ، لأنَّ أساس السعادة هو هذا الاطمئنان ، هو هذا اليقين ، الذي لا يأتي إلا من طريق الإيمان : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (الفتح:٤) ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨) .

بشائر بظهور الإسلام على كلِّ الأديان :

نحن نوقن أنَّ للإسلام دوره في المستقبل ، وعندنا البشائر بهذا ، عندنا بشائر من القرآن ، وعندنا بشائر من السُّنَّة ، وبشائر من التاريخ ، وبشائر من الواقع .

بشائر من القرآن :

القرآن بشَّر بظهور الإسلام على كلِّ الأديان ، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣) ، وهذا الوعد بظهور الإسلام تكرَّر في ثلاث سور من القرآن الكريم ، في سورة التوبة ، وفي سورة الفتح ، وفي سورة الصف : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (التوبة:٣٣، الفتح:٢٨، الصف:٩).

صحيح أنَّ الإسلام انتصر قديما ، ولكنَّه لم يظهر على كلِّ الأديان ، انتصر على اليهودية ، وانتصر على النصرانية ، ولكن بقيت أديان كالبوذية والكنفوشيوسية والهندوسية والوثنية ، ولكن سيأتي يوم ينتصر الإسلام عليها وعلى كلِّ دين ، هذا ما بشَّر به القرآن ، حيث قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢) ، ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

﴿ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور:٥٥) .

البشائر القرآنية كثيرة .

بشائر من السُّنَّة :

والبشائر النبوية كثيرة أيضا ، فالأحاديث التي تُبشِّر بانتصار الإسلام وظهوره على جميع الأديان كثيرة ، كحديث : « ليبلغنَّ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله بعزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل ، عزٌّ يُعِزّ الله به الإسلام ، أو ذُلٌّ يُذِلُّ الله به الكفر »[1]. أي أنَّ الإسلام سيعُمُّ الكرة الأرضية كلَّها ، قال سيدنا عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل أيُّ المدينتين تُفتح أولا ، قسطنطينية أو روميَّة؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هرقل تُفتح أولا » يعني : القسطنطينية[2].

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧) وقال مخرجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، والطبراني (٥٨/٢) ، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧) : رجال أحمد رجال الصحيح ، عن تميم الداري .

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥) وقال مخرجوه : إسناده ضعيف ، وقال الهيتمي في المجمع(١٠٣٨٥) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة ، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤) .

وقول الصحابة للنبي ﷺ : «أيُّ المدينتين تُفتح أولا ، قسطنطينية أو رومية؟» . يدلُّ على أنَّ الصحابة كانوا قد سمعوا من النبي ﷺ ما يدلُّ على أنَّ كلتا المدينتين ستُفتح ، ولكن أيُّهما سيُفتح أولا ، فقال ﷺ : «مدينة هرقل تُفتح أولا». ومدينة هرقل هي القسطنطينية ، أو إستانبول ، ورومية هي (روما) .

وقد فُتحت مدينة هرقل والحمد لله ، فتحها ذلك الشاب العثماني ابن الثالثة والعشرين محمد بن مُراد ، المشهور في التاريخ باسم (محمد الفاتح) ، فقد كان هذا الشاب يُفكّر ـ وهو في العشرين من عمره ـ أن يفتح القسطنطينية ، عندما قرأ في كتب السنة ، ما رواه الحاكم في المستدرك وغيره ، أنَّ النبي ﷺ قال : «لتفتحنَّ القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش»[1]. عند ذلك تاقت نفسه ، واشتاق أن يكون هو الموعود بهذا ، وتمنَّى أن يكون هو ذلك الأمير ، وجيشه هو ذلك الجيش ، وفعلا خطَّط الشاب ودبَّر ، وهيَّأ الله له فتح القسطنطينية ، وفتحها سنة ألف وأربعمائة

---

(١) رواه أحمد (١٨٩٥٧) وقال مخرجوه : إسناده ضعيف ، والحاكم في الفتن (٤٢١/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤) : رجاله ثقات ، عن بشر الغنوي .

وثلاث وخمسين ميلادية (١٤٥٣م) ، مَن يزور إستانبول ويذهب إلى جامع الفاتح هناك ، يجد هذا الحديث مكتوبا هناك على باب المسجد الكبير : « لتفتحنَّ القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » . فتحت القسطنطينية ، فبقي إذن أن تُفتح رومية (روما . . إيطاليا . . أوربا) ، ومعنى هذا أنَّ الإسلام سيعود إلى أوربا مرَّة أخرى ، هذا ما تُبشِّر به الأحاديث النبوية .

وإن كان ممَّا يؤسف له ، أنَّ كثيرًا من المسلمين يجهلون هذه البشائر ، أو يتجاهلونها ، ولا يُظهرون إلا الأحاديث التي يفهمون أنَّها توحي باليأس والقنوط ، وأنَّ الإسلام قد أَفَل نجمه ، وغربت شمسه ، كحديث : « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »[١] .

أو كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « اصبروا ، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه ، حتى تلقَوا ربَّكم » سمعتُه من نبيِّكم ﷺ[٢] .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٦) ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨) ، وأحمد (١٢١٦٢) ، والترمذي في الفتن (٢٢٠٦) .

أو أحاديث الفتن والملاحم، وأشراط الساعة وآخر الزمان، التي يفهمون منها أنَّ الإسلام قد انتهى دوره، ولم تبقَ له مهمَّة، ولن ترتفع له راية، ويتجاهلون المبشِّرات بانتصار الإسلام وظهوره على الدين كلِّه، وهي كثيرة في القرآن والسُّنَّة.

بشائر من التاريخ:

ومُبشِّرات كذلك من التاريخ، فقد أثبت التاريخ أنَّ الإسلام أشدُّ ما يكون قُوَّة، وأصلب ما يكون عوداً في الأزمات والمُلِمَّات، فالأزمات هي التي تُظهر قُوَّة الإسلام وصلابته، وقد ظهرت قوَّة الإسلام وصلابته أيام حرب الردَّة، وأيام غزو التتار لبغداد، فقد غزا التتار بغداد سنة ستمائة وستة وخمسين من الهجرة (٦٥٦هـ)، وأسقطوا الخلافة العباسية، ودمَّروا الحضارة الإسلامية.

وسنة ستمائة وثمان وخمسين من الهجرة (٦٥٨هـ)، أي بعد مرور سنتين فقط من سقوط بغداد، استعاد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، وهزموا التتار هزيمة مُنْكرة في موقعة حاسمة من مواقع التاريخ، عُرفت بموقعة (عين جالوت)، وذلك على أيدي الجيش المصري، بقيادة المظفَّر سيف الدين قطز. استعاد المسلمون ثقتهم، وانتصروا انتصارا حاسما.

وهكذا ظهرت قُوَّة الإسلام في ذلك الوقت ، ظهرت أمام الزحف التتري من الشرق ، والزحف الصليبي من الغرب ، وقد أظهر التاريخ أنَّه كان بين الطرفين نوع من التآمر الخفي ، خفي على كثير من المسلمين ، لكن أثبت البحث التاريخي بعد ذلك أنَّه كان بين التتار والصليبيين صِلات ، فبعض التتار كان متزوجا من نساء نصرانيَّات ، وكان بينهم مُراسلات . ولكنَّ الإسلام استطاع أن يُجنِّد أجناده من جديد ، لينتصر على هؤلاء ، ففي الإسلام قُوَّة ذاتيَّة تظهر جليَّة واضحة وقت الشدائد .

بشائر من الواقع :

والواقع يُبشِّر بظهور الإسلام ، وضرورة القيام بحلٍّ مشكلات العالم ، فالبشرية في حاجة إلى طوْق للنجاة ، في حاجة إلى مَن ينقذها من المادية التي تُهدد العالم ، فمَن الذي يقوم بدور المنقِذ؟! لا تستطيع المسيحية أن تقوم بهذا الدور ، ليس عندها الرسالة القادرة على هذا ، فالناس في حاجة إلى رسالة تعطيهم الآخرة ولا تحرمهم الدنيا ، وتعطيهم الإيمان ولا تسلبهم العلم ، وتعطيهم الرُّوحانية ولكنَّها لا تعزلهم عن المادية ، وتعطيهم المستقبل ولكنَّها تُحييهم في الحاضر ، وهذه الرسالة المتوازنة هي رسالة الإسلام . لا توجد رسالة

فيها هذا التوازن إلا رسالة الإسلام ، الرسالة الإسلامية هي الرسالة الوسط للأُمَّة الوسط،فالمسيحية عاجزة تماما عن هذا، واليهودية أَشدُّ عجزا ، فليست اليهودية دعوة بطبيعتها قابلة للانتشار ، بل هي دعوة عُنصريَّة ، والماركسية قد انتهت ، والوثنيَة وعُبَّاد الأصنام والبقر لا يمكنهم أن يُنقذوا العالم ، لم يبقَ إلا الإسلام ، المنقِذ الوحيد للبشرية ممَّا تعانيه .

مَن المسؤول عن عدم انتشار الإسلام؟

المسلمون مطالبون أن يُقدِّموا صورة طيِّبة عن الإسلام ، لينقذوا به العالم مما يهدِّده ، لا بدَّ أن يُقَدِّموا صورة طيبة للإسلام في أرضه ، فإنَّ المسلمين هم الحجاب الحاجز عن رؤية الإسلام الحقيقي ، فهم المسؤولون عن عدم انتشار الإسلام ، لأنَّهم لم يُطبِّقوه في أرضهم .

الناس يقولون : لماذا لا نرى الإسلام كما نراه في الكتب؟ المسلمون يقولون : إنَّ الإسلام دين القُوَّة ، فلماذا نراهم ضعفاء؟! ودين العلم ، فلماذا نراهم جُهلاء؟! ودين الأُخُوَّة ، فلماذا نراهم مُتعادين؟! ودين الوَحدة ، فلماذا نراهم مُتفرِّقين؟! وهكذا يقولون . فنحن ـ المسلمين ـ بهذا الوضع صورة سيِّئة للإسلام .

الإسلام انتشر قديما بالقُدوة والأُسوة الحسنة ، بالإنسان المؤمن ، بالإنسان الأخلاقي ، بالفرد الصالح ، والمجتمع الصالح ، ولذلك نحن في حاجة إلى أن نعود إلى الإسلام من جديد ، حتى يرى الناسُ الإسلامَ مُطبَّقا في مجتمع صالح ، وهذا يبدأ بتكوين الفرد الصالح . . بتكوين الجماعة الصالحة ، والشَّعب الصالح ؛ وصولا إلى الدولة الصالحة ، إلى الأُمَّة الصالحة الكبرى ، التي تجمعها راية الخلافة .

تكوين الفرد الصالح :

نبدأ بتكوين هذا الفرد الصالح في نفسه المصلح لغيره ، الذي تكوَّن تكوينًا إسلاميًّا متكاملا ، تكوَّن عقله بالثقافة ، تكوَّنت رُوحه بالعبادة ، تكوَّن جسمه بالرياضة ، تكوَّن من كلِّ ناحية من النواحي ، هذه هي الشخصية الإسلامية ، والعقلية الإسلامية ، والنفسية الإسلامية ، والرُّوح الإسلامية ، هذا ما نريده في الإنسان المسلم ، وهذا ما تقوم عليه مثل هذه الجمعيات والمؤسَّسات .

عملنا أن نُهيِّئ هذا الإنسان المؤمن ، أن نُهيِّئ الإنسان المؤمن الموصول بالله ، فالله تبارك وتعالى حينما خاطب نبيه محمدًا ﷺ قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (الأنفال:٦٢،٦٣) ، ﴿ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ

وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:٦٢) ، يعني لا نصر بغير المؤمنين ، فالملائكة لا تنزل إلا على المؤمنين المستحقِّين للنصر ، كما نزلت في بدر ، ونزلت في حُنَيْنٍ ، ونزلت في الخـنـدق ، فهي لا تنزل إلا على الذين آمنوا ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (الأحزاب:٩) ، ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (الأنفال:١٢) ، لا بدَّ أن يوجد الذين آمنوا حتى يستحقُّوا نزول الملائكة ، تشُدُّ أزرهم ، وتُكثِّر سوادهم ، لا بدَّ أن نعمل على وجود الذين آمنوا ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (الأنفال:٦٢،٦٣) ، ولا بدَّ أن يكون المؤمنين مؤتلفين مترابطين ، لا مبعثَرين ، ولا مُمزَّقين ، هذا ما ينبغي أن نسعى إليه ، ونحرص عليه .

وفي الختام :

وفي الختام أيها الإخوة ، هذه خواطر مُرسَلة ، ألقيتُها إليكم دون إعداد ولا تهيئة ، ولكنها خواطر نفس تعيش في هذه الأيام ، تنظر إلى حال المسلمين ، فيتفتَّت الكبد لما تراه من هذه الأحوال ، ونرجو أن تكون هذه الأحوال درسًا لنا ، نستفيد منه ، فالأمم الصالحة تستفيد من المِحَن والشدائد ،

لتصبح الشدائد ـ رغم ما فيها ـ مَنفعة ، كما جرى للمسلمين في غزوة أُحُد ، رغم أنهم أصابهم فيها ما أصابهم ، فكانت خيراً لهم ومنفعة ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران:١٧٩)، فكانت تمحيصا وتطهيرا وتمييزا للخبيث من الطيِّب .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُعِيننا أن نتجاوز ما أصابنا في تلك الفترة ، وأن نستفيد من هذه المِحْنة ، وأن نعمل على أن يكون يوم أُمَّتنا الإسلامية خيراً من أمسها ، وأن يكون غدها خيراً من يومها ، ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة:٤،٥) ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف:١٠) .

وصل اللهم وسلِّم وبارك على سيّدنا ونبيِّنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأسئلة

الفوائد البنكيَّة وشُبُهات حول معاملات المؤسَّسات الإسلاميّة :

السؤال : مجموعة من الأسئلة يستفسر أصحابها عن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار ، وهل هي من الرِّبَا ، خاصة وأنَّ هناك مَن قال بحلِّ هذه الفوائد والشهادات؟ وعن معاملات بعض المؤسَّسات الإسلامية ، وما يُثار حولها من شُبُهات؟

الجواب : لقد كتبتُ في موضوع الفوائد البنكيَّة ، وبيَّنتُ أنَّها الرِّبا المُحرَّم ، يوم أن أُثير كلام حول شهادات الاستثمار ، وأصدرتُ في هذا كتابا اسمه (فوائد البنوك هو الربا الحرام) ، وأنا لا أقول هذا من عند نفسي ، بل هذا ما أجمعت عليه المجامع العلمية الإسلامية ، كمَجْمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف في القاهرة ، ومَجْمع الفقه لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرّمة ، ومَجْمع الفقه الإسلامي العالمي في جدَّة ، والمؤتمرات العالمية للاقتصاد الإسلامي ، وللفقه الإسلامي ، وللدعوة الإسلامية ، ومؤتمرات المصارف الإسلامية المختلفة ، كلُّ هذه المجامع الفقهية والمؤتمرات الإجماعية أجمعت على أنَّ الفوائد البنكيَّة هي الربا المحرم

شرعًا ، فهذا إجماع ، وهذا الإجماع لا ينسخه إلا إجماع مثله .

أمَّا أن يأتي أَحدٌ بفتوى يخالف فيها هذا الإجماع ، فكلامه لا وزن له ، إنَّه لا يمكنه أن يقاوم أفراد العلماء ، أمثال الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية ، والشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ حسن مأمون ، فكيف يقاوم المجامع الفقهية والمؤتمرات الاجماعية ! ؟ هذا كلام لا وزن له .

نحن كنَّا أغلقنا ملف الرِّبا : حرام أم حلال في أوائل هذا القرن ، ورُدَّ على ذلك ، وأُلِّفَتْ كُتب ، وسلَّم الناس أنَّه حرام ، وطالبوا بوجود بديل ، وقام البديل بالفعل ، وقامت البنوك الإسلامية ، وانتشرت وتكاثرت ، والحمد لله .

ثم بعد هذا عاد الناس من جديد ، وفتحوا ملف الرِّبا مرة أخرى ، وأثار بعضهم شُبُهات حول البنوك الإسلامية ، وهذه البنوك الإسلامية قامت على أساس إسلامي ، وقوانينُ إنشائها ونُظُمها الأساسية تفرض عليها ألا تتعامل بما يخالف الشريعة الإسلامية ، فأصبح هناك مسؤولية على مجلس الإدارة ، وعلى الإدارة التنفيذيِّة ، وعلى هيئة الرَّقابة الشرعيَّة المكوَّنة من العلماء ، للقيام على تنفيذ هذه العمليَّة ، وهذه الإدارة مسؤولة أمام الله عن الحلال والحرام في العمليات البنكيَّة .

ثم إنَّ أغلب حملات التشكيك هذه حملات مُغْرضة ، وراءها البنوك الربويَّة ، ووراءها القُوى المعادية للإسلام ، التي لا تريد أن يقوم شيء إسلامي ناجح ، فهي تريد ضرب التحرُّك الإسلامي ، تريد ضرب الدعوة الإسلامية ، وضرب الصحوة الإسلامية ، أعداء الإسلام كانوا يقولون : احذروا الإسلاميين المتطرِّفين المتشدِّدين الذين يُحرِّمون كلَّ شيء . أما اليوم يقولون : احذروا الإسلاميين المعتدلين ، احذروا الإسلام المعتدل . لأنَّهم وجدوا أنَّ المتطرِّفين أقصر عُمُرا ، لم يستمرُّوا طويلا ، وهذا شأن التطرُّف دائما ، كما قال النبي ﷺ : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه »[1] . فالاعتدال هو القاعدة الأوسع انتشارًا ، والأرسخ قَدمًا ، والأطول عُمُرا ، والأعمق أثرًا .

إنَّ الإعلام الغربي يحاول بكلِّ طاقاته تشويه صورة الصحوة الإسلامية ، وأن يُخوِّف الناس منها ، وخاصَّة المسؤولين والحُكَّام ، فيوحي إليهم : أن احذروا الإسلاميين ، احذروا الأصوليين ، احذروا الشباب المسلم المعتدل . مع أنَّ هذا النوع من الشباب المسلم الملتزم المعتدل ، هو حبل

---

(١) رواه البخاري (٣٩) ، والنسائي (٥٠٣٤) ، كلاهما في الإيمان ، عن أبي هريرة .

النجاة لهذه الأُمَّة ، وهو الذي يقوم بنهضتها ، وهو محور المستقبل لها ، لذلك علينا نحن ـ المسلمين ـ أن نحذر من التشكيك بكلِّ ما هو إسلامي ، أن نحذر التشكيك بكلِّ صوره ، وأن نكون أوعَى من ذلك .

الاقتراض من البنوك الربويّة :

السؤال : هل يجوز الاقتراض من البنوك الربوية لأجل البناء ، حيث إنَّ بعض الزملاء اقترح عليَّ أن أقترض لبناء بيتي من البنك الربوي ؛ لأجل الضرورة ، فما هي الضرورة ؟ وما ضوابطها ؟

الجواب : مثل هذه الأسئلة تكون نتيجة غياب الأحكام الشرعية عن التطبيق ، ونتيجة هذا لا بدَّ أن يجد الفرد المسلم نفسه في مأزق ، وتلك هي محنة الفرد المسلم في المجتمع المسلم ، الذي لا يلتزم بكلِّ أحكام الإسلام ، فلا بدَّ أن يحصل نوع من التناقض بين ضمير المسلم ، وبين الواقع الذي يعيشه ، يمشي في الشارع فيجد المرأة المتبرجة ، أو ينزل الفُنْدق فيجد الخمر وغيره من المحرَّمات ، وهكذا يُعاني الفرد المسلم في المجتمع الذي لا يُطبِّق كلَّ أحكام الإسلام .

كذلك موضوع الرِّبا ، فهنا المسلم عليه أن يتحرَّى الحلال قَدْر الإمكان ، وأن يبتعد عن الحرام ، إلا لضرورة أو حاجة ،

لأنَّ العلماء يقولون : الحاجة تُنَزَّل منزلة الضرورة ، خاصَّة كانت أو عامَّة . مثل الحاجة إلى البناء السكني ، وليس أيُّ بناء ، فقد قال لي مرَّة بعض الناس : يا شيخ ، أنا مضطر للاقتراض من البنك الربوي !

فقلتُ له : لماذا أنت مضطر؟

فقال : لأني بنيتُ عمارة من سبعة عشر طابقا ، وأنهيتُ منها اثني عشر طابقًا ، وبقيت خمس طوابق بدون تشطيب ، فأنا مضطر ، وهذه ضرورة . ففسَّر الضرورة على هواه .

لا شكَّ أنَّ السكن الشخصي حاجة من الحاجات الأساسية للإنسان ، بل ربما كان ضرورة من الضروريات ، كأن تكون الإيجارات مرتفعة جدًّا ، أو لا يجد الشخص السكن الذي يؤجِّره ، ففي هذه الحالة يجوز أن يقترض بالفائدة ؛ لأنَّه مضطر ، وليس عنده ما يدفعه ، وليس عنده شيء يمكنه بيعه والاستغناء عنه ، ولم يجد مَن يُقرضه بغير الفائدة ، فله في هذه الحالة أن يقترض بالفائدة ، وفقا للقاعدة الأصولية : (الضرورات تبيح المحظورات) . وهذه القاعدة مأخوذة من قول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٧٣) .

وهذه القاعدة تُكمِّلها قاعدة أخرى هي (ما أُبيح للضرورة يُقَدَّر بقَدَرها) . فيقترض ويعطي الفائدة ، والدولة تتحمَّل الإثم أمام الله عزَّ وجلَّ .

وهناك فرق بين أخذ الربا وبين إعطائه ، أخذ الربا وأكله لا يجوز أبدًا بحال ، لا يحلُّ لإنسان أن يُعطي مالا ويأخذ عليه ربا ، فهذا أكل للربا ، أمَّا إعطاء الربا فيجوز للضرورة كما قلنا .

وبناء على ذلك لا يجوز للناس أن يتوسَّعوا في معنى الضرورة ، فإذا احتاج الشخص لألف ، لا يجوز له أن يأخذ ألفين ، أو احتاج لألفين ، لا يجوز له أن يقترض ثلاثة ، وإنَّما يأخذ ما أُبيح فقط بسبب الضرورة ، هذا ما أراه في هذه القضية ، والله تعالى أعلم .

وصل الله وسلَّم على سيِّدنا ونبيِّنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أولويات العمل الإسلامي في ظل المتغيرات الدولية الراهنة.....	٣
دور جمعية الإصلاح في الإصلاح.....	٤
قاعة عبد الرحمن الجودر.....	٤
ما المقصود بالعمل الإسلامي؟.....	٥
مُمَيِّزات العمل الإسلامي.....	٦
١- عمل جماعي.....	٦
العمل الفردي محدود الإنتاج.....	٧
الإسلام يغرس في أتباعه الروح الجماعيّة.....	٨
٢- عمل كبير.....	٩
٣- عمل مُنظَّم.....	١١
٤- عمل شَعْبِيّ تطوُّعيّ مُحتَسِب.....	١١
٥- ينبثق من ضمير المجتمع المسلم.....	١٢

العمل الإسلامي انتشر في المشارق والمغارب..... ١٣
مُخَطَّط لضرب العمل الإسلامي وتعويق مسيرته..... ١٥
الغرب درس نتائج الحروب الصليبية.. ..... ١٦
مآسي كبيرة حلَّتْ بالأمَّة..... ١٧
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ..... ١٨
حتى لا تتكرَّر المأساة..... ٢٠
لا بد من الدراسة الهادئة..... ٢١
مَن المسؤول عمَّا حدث ؟..... ٢٢
مَن المستفيد من خسائرنا..... ٢٣
قضايا الأُمَّة لا يجوز التخلِّي عنها..... ٢٤
لا بدَّ من معركة مع اليهود..... ٢٥
سقوط الشيوعية وضياع حتميَّات ماركس وتنبُّؤاته... ٢٧
سفينة الإنقاذ للبشرية..... ٢٨
بشائر بظهور الإسلام على كلِّ الأديان..... ٢٩
بشائر من القرآن..... ٢٩
بشائر من السُّـنَّة..... ٣٠
بشائر من التاريخ..... ٣٣

بشائر من الواقع..... ٣٤
مَن المسؤول عن عدم انتشار الإسلام؟..... ٣٥
تكوين الفرد الصالح..... ٣٦
وفي الختام..... ٣٧
الأسئلة..... ٣٩
الفهرس..... ٤٥

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة. ت: ٤٨٢٧٨٥١